الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

دراسة علمية أكاديمية محكمة

رسالة ماجستير نوقشت سنة ١٩٨٦م

تأليف

الدكتور/ عبد السلام حمدان اللوح

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة

آفاق

للطبع والنشر والتوزيع

غزة ـ فلسطين

آفـــاق
للطبع والنشر والتوزيع
غـــزة ـ فلسطين

الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م

إهـــداء

إلى الذيـــن يبحثـــون عن آيـــات الله في الأنفـــس والآفـــاق .

إلى الذيـــن مسهـــم طـــائف من الشيـــطـــان فضلوا السبيـــل .

إلى الذين لا يفقهون العربية فيدركون الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

إلى الذيـــن لا يؤمنـــون بغـــير لغـــة العلـــم طـــريقاً للهدايـــة .

إلى الـــدعـــــاة لـــديـــــن الله فـــي كـــــل مـــكـــــان .

إلى المتـــخصصـــين في العـــلـــوم الديـــنـــيـــة والـــدنـــيـــويـــة .

إلى عامـــة النـــاس وخاصتـــهم الذيـــن يـــزدادون إيمانـــاً مع إيمانهم .

أقدم هذا الجهـــد المتواضع
عساه يفتـــح قلوباً مقفلةً ،
وينير بصـــائـــرَ مظلمـــةً ،
ويســـــدد خطـــاً تائهـــةً ،
ويبدد ظلامـــاً موحشـــاً ،
ويثبّت إيمانـــاً مضطـــرباً .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾

الذاريات (٢٠ ، ٢١)

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

فصلت (٥٣)

﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا . إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾

النساء (١٦٦ ، ١٦٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

الحمد لله الذي خلق فسوى ، وقدّر فهدى ، أحسن كلَّ شيءٍ خلقه ، وأنزل كتابه هدى للناس ، ما فرط فيه من شيء ، تنزيلاً من عزيز حكيمٍ ، فياضاً خيرُه ، كريمـــاً عطاؤه ، متجدداً إعجازُه ، ولا يَخْلَقُ على كثرةِ الردِ .

وأصلي وأسلم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبهِ الطيبين الطاهرين الذيـــن أدركوا إعجازَ القرآنِ وتذوقوا بلاغَته وبيانَه ، واستجابوا لشريعتِه وأحكامِه .

أمّا بعد ، فإنَّ القرآنَ الكريمَ هو كتابُ هدايةٍ وإعجاز معاً ، لذلك حظيَ بـــالكثيرِ من جهودِ العلماءِ للوقوف على أوجهِ إعجازهِ ، وقد يتفقون أحياناً وقد يختلفون أحيانـــاً أخرى ، ولقد كان الإعجازُ العلميُّ من الوجوهِ التي اختلفت فيـــه الآراءُ بيـــنَ مؤيـــدٍ ومعارضٍ ، وبينَ مسرفٍ ومعتدلٍ . فلفت ذلك انتباهي فجعلتُـــه موضـــوعَ رســـالتي وسميتها: " **الإعجاز العلمي في القرآن** " .

ولقد شجعني لاختيار هذا الموضوع عدةُ أسبابٍ منها :

١- أنَّ القرآنَ الكريمَ كان ثورةً على الجاهليةِ بكلِّ ما فيها من عقائدَ فاســـدةٍ وقيـــمٍ منحرفةٍ وشعوذةٍ ، لم تقم على أساسٍ علميٍ صحيحٍ ، وأنَّه قد استبدلَ بذلك وضع أسس علمية صحيحة لنمو العلوم وتقدمها .

٢- ما لهذا الموضوعِ من إقبالِ العامةِ والخاصةِ .

٣- يُعَدُّ هذا الموضوع من الموضوعاتِ المتصلةِ بقضايا العصرِ الحـــاضرِ ، وهـــو ممتدٌ على مدى العصور إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها ، وذلك لما اشتملَ عليـــه القرآنُ من علومٍ كونيةٍ وحقائق علميةٍ وتشريعيةٍ يكشفُ عنها العلمُ تباعاً .

٤- بيانُ كيفيةِ استغلال الحقائق العلميةِ الحديثةِ والاستفادةِ منها في البرهنةِ علـــى أنَّ القرآنَ وحيٌ سماويٌ وليس من نتاجِ بشري.

٥- إنَّ هذا البحثَ هو نوعُ تلبيةٍ واستجابةٍ لأمرِ اللهِ تعالى حيثُ يقول : ﴿ قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ يونس (١٠١) ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ . فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ الغاشية (١٧-٢١) .

٦- بعد الاطلاع على كثيرٍ ممّا كُتِبَ في هذا الموضوعِ وجدتُ ذلك إمَّا أن يكونَ قد ذُكِرَ عرضاً في ثنايا كتبِ التفسيرِ ، وإمَّا أن يكونَ بحوثاً صغيرةً في كتب علومِ القرآنِ، مثل كتابِ الإتقانِ ، والبرهانِ ، ومناهلِ العرفان في علومِ القرآنِ ، أو كتباً صغيرةً مثل كتاب (الإعجاز العلمي في القرآن برهان النبوة) للمهندس رائف نجم ، وكتاب (معجزة القرآن) لنعمت صدقي ، وكتب عبد الرازق نوفل وغيرها ممَّا اقتصرت على ذكر نماذجَ وإشاراتٍ علميةٍ في القرآنِ الكريمِ دونَ التعرضِ لمناهجِ المفسرينَ وآرائهم في هذا الوجه من الإعجاز ، ومن الكتب ما أفرطت وبالغت في هذا المجال ، مثل كتاب (الجواهر في تفسير القرآن) لطنطاوي جوهري ، ومنها ما فرطت في ذلك ، مثل كتاب (الموافقات في أصول الشريعة) للشاطبي ، وبالتالي فإنَّ الموضوعَ في حاجةٍ لأن يخرجَ في ثوبٍ جديدٍ وبوجهٍ جديدٍ .

٧- أضف إلى ذلك أن دراستي لمادة (الإعجاز) في كليةِ الشريعةِ قد أشعرتني بأهميةِ الموضوعِ ، وما كَثُرَت حولَه ، من آراءٍ بحاجةٍ إلى دراسةٍ وتعمقٍ لبيانِ وتجليةِ الموقف السديدِ والمنهجِ السليمِ في مجالِ الإعجازِ العلميِ في القرآن الكريمِ ، وممَّا زادَ تمسكي بهذا الموضوعِ وإصراري عليه ما أكرمني الله به مشرفي على الرسالةِ أستاذنا الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني المشهور بإطلاعاتِه المكثفةِ في المجالاتِ العلميةِ التي تَخدمُ كتابَ الله تعالى ، وقد أفادتني كثيراً في وضوحِ صورة الموضوعِ وإرساءِ معالمِه، وقد أكرمني كثيراً بتوجيهاتِه البناءةِ ، فملكتُه القرآنيةُ العلميةُ وفراستُه الإيمانيةُ كانت تضعُ النقاط على الحروفِ ، فجزى اللهُ أستاذي كلَّ خيرٍ .

أما هدفُ البحثِ وغايتُه :

فهو تجليةُ الإعجازِ العلميِ في القرآنِ الكريمِ من خلال :

١) إيجادِ المناخِ الملائمِ لنموِ العلومِ وتقدمِها .

٢) إزالةِ العوائقِ أمامَ البحثِ العلميِ .

٣) بيانِ عدمِ مناقضةِ النصِ القرآنيِ لأيِّ حقيقةٍ علميةٍ نظراً لأصالةِ نصه بخلافِ الكتبِ السماويةِ السابقةِ التي اعتراها التحريفُ.

٤) تجليةِ آراءِ العلماءِ في الإعجازِ العلميِ والخروجِ برأيٍ بعدَ المناقشةِ لآراءِ كلٍّ من المؤيدينَ والمعارضينَ.

٥) لفتِ النظرِ إلى ما تتضمنه بعضُ الآياتِ القرآنيةِ من لفتاتٍ علميةٍ اكتشِفت بعدَ نزولِ القرآنِ بقرونٍ ، ممَّا يدلُّ على أنَّ مُنزلَ القرآنِ الكريمِ هو اللهُ تعلى الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً .

وأسألُ اللهَ أن أجمعَ في بحثي هذا شتاتَ الموضوعِ وأن أقدمَ دراسةً تتصفُ بالموضوعيةِ مع تحري الحقِ والخيرِ والصدقِ ليستفيدَ منها الباحثون في هذا المجالِ ولتسدَ فراغاً في المكتبةِ الإسلاميةِ .

وتحقيقاً لهذا الهدفِ كان لا بُدَّ من وضعِ الخطةِ التاليةِ لهذا البحثِ وهي :

الفصل التمهيدي : وقد اشتملَ على ثلاثةِ مباحث :

المبحث الأول : نظرات حول الإعجاز والمعجزة .

المبحث الثاني : وجوه الإعجاز ومراحل التحدي .

المبحث الثالث : الفرق بين المعجزة والاختراع العلمي .

الفصل الأول : (القرآن ومجاله العلمي) وقد اشتملَ على ثلاثةِ مباحث :

المبحث الأول : دور القرآن في مجال العلم والعقل .

المبحث الثاني : موقف القرآن من البيئة الجاهلية .

المبحث الثالث : بين القرآن والكتب السماوية .

الفصل الثاني : (الإعجاز العلمي بين مؤيديه ومعارضيه) وقد اشتملَ على المباحثِ التاليةِ :

بين يدي الفصل : مجموعة تعريفاتٍ لكلٍّ من : (النظرية العلمية ، الحقيقة العلمية ، التفسير العلمي ، والإعجاز العلمي) .

المبحث الأول : رأي المعارضين للإعجاز العلمي ومناقشته .

المبحث الثاني : رأي المؤيدين للإعجاز العلمي .

المبحث الثالث : الخلاصة .

الفصل الثالث : (نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن) وقد اشتملَ على المباحثِ التاليةِ :

المبحث الأول : عالم الكون .

المبحث الثاني : عالم الإنسان .

المبحث الثالث : عالم الحيوان والحشرات .

المبحث الرابع : عالم النبات .

المبحث الخامس : عالم البحار والمحيطات .

المبحث السادس : عالم الطب والصحة العامة .

وسرتُ على هذه الخطةِ بتوفيق الله ومعونتِه وكلَّما تقدمتُ في هذا الموضوع اتضحت صورتُه وتثبتت أركانُه ، وشعرتُ أنّي قد خدمتُ العلمَ بجديدٍ مفيدٍ بعدَ جهدٍ جهيدٍ ، وحمدتُ اللهُ على ذلك حمداً كثيراً .

أمّا مراجعي ومصادر بحثي ، فقد استعنتُ بمراجعَ كثيرةٍ ، قديمةٍ وحديثةٍ منها ما يتعلق بالموضوعِ مباشرةٍ ومنها ما يتضمنُ الإشارةَ فقط ، وكان اعتمادي على المراجع الحديثةِ بنسبةٍ أكبر نظراً لطبيعةِ الموضوعِ ، فهو موضوعٌ عصريٌ حديثٌ ، وأنَّ الحديث حولَه بشكلٍ مركزٍ يكاد أن ينحصر في القرنِ العشرين ، ولقد أفادني

المشرفُ في هذا المجالِ حيثُ كان يزودني بما يَجدُّ من كتبٍ مما له علاقةٌ ببحثي هذا، سواء كان بإرشادي إليها أو بإعارتي إياها من مكتبتهِ الخاصةِ .

وقد بلغت مراجعي في هذه الرسالةِ ما يزيدُ على مائتي مرجعٍ قديمٍ وحديثٍ ، وقمت بفهرسةِ هذه المراجع ، فجعلتُ القديمَ منها تحتَ قائمةِ المصادرِ، والحديثَ منها تحتَ قائمةِ المراجعِ ، وألحقتُ ذلك بقائمةٍ للدورياتِ تشملُ الجرائدَ والمجلاتِ ، ثم أشرتُ لما اعتمدتُ عليه من متفرقات تشمل الأشرطة والمحاضرات والمقابلات والنشرات وقد اعتمدت في ترتيب المصادرِ والمراجعِ على حسبِ أسماءِ مصنفيها مرتبةً حسبَ الأحرفِ الهجائية.

وقد جعلتُ فهرساً للآياتِ القرآنيةِ الكريمةِ ، مرتبةً حسبَ ترتيبِ سورِها في المصحفِ الشريفِ ،وحسب ترتيبِ الآياتِ في كلِّ سورةٍ من سورهِ ، مشيراً إلى أماكن ورودِها في صفحاتِ الرسالةِ.

وألحقتُ ذلك بفهرسٍ للأحاديثِ النبويةِ مرتبةً حسبَ الأحرفِ الهجائيةِ مشيراً كذلكَ إلى أماكنِ ورودِها في الرسالةِ.

وختمتُ ذلك بفهرسِ الموضوعاتِ مرتبةً حسبَ ورودِها في الرسالة أيضاً .

وقد ترجمتُ لبعضِ الأعلامِ كالخطابيّ والرمانيّ وعبد القاهر الجرجانيّ وأبي حيان الأندلسيّ والقاضي عياضٍ وابن عاشورٍ ، وغيرِهم ممن تقتضي الحاجةُ أن يُترجَمَ لهم.

وقد بذلتُ جهدي في إعداد هذا البحثِ بفضلِ الله وتوفيقِه ، فالكمالُ المطلقُ للهِ ربِّ العالمين ، ولكن غايتنا أن نسعى إلى الكمالِ ، فما كان من صوابٍ فمن الله وبتوفيقِه ، وما كان من خطأٍ فمني ومن الشيطانِ واللهُ ورسولُه منه بَراءٌ.

وأسألُ اللهَ أن يأجرني ووالديَّ و كلَّ من له فضلٌ علي ،وأخص بالذكر الدكتور إبراهيم زيد الكيلانى لما بذلَه من جهدٍ وما خصنيْ من نصيحةٍ طوالَ سنةٍ كاملةٍ ، والدكتور فضل حسن عباس صاحبَ فكرةِ البحثِ ولما له من فضلِ التدريس والتوجيه، وكلَّ أساتذتي ومدرسيَّ في كليةِ الشريعةِ بالجامعةِ الأردنيةِ ، والسيد رضوان سلمان

الذي ساعدني في التدقيق والمقابلة ، وكلٌ من ساهَم في هذا البحثِ منذُ أن كانَ فكـــرةً إلى أن أصبحَ حقيقةً ، وأخصُ بالذكر زوجتي (أم بلال) التي سهرت ليلَها وبذلت كل ما فى وسعها فى سبيل إنجاز هذا العمل ، و في الختام أشكرُ الجامعةَ الإسلاميةَ بغـــزة التي أتاحت لى هذه الفرصة لإتمامِ دراستي العليا .

و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه وسلم

الباحث/ عبد السلام حمدان اللوح

الفصل التمهيدي

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نظـــرات حول الإعجـــاز والمعجزة

المبحث الثاني : وجوه الإعجـــاز ومرحل التحـــدي

المبحث الثالث : الفرق بين المعجزة والاختراع العلمي

المبحث الأول

نظرات حول الإعجاز والمعجزة

أولاً : تعريف الإعجاز والمعجزة لغةً واصطلاحاً :

أ) تعريفها لغة :

المعجزة في اللغة اسم فاعل من الإعجاز ، والإعجاز مصدر للفعل (أعجز)[1] وبعد النظر في بعض المعاجم اللغوية للوقوف على مدلول كلمتي الإعجاز والمعجزة وأصل اشتقاقهما خرجت بالخلاصة الآتية:

المُعْجِزُ والمُعْجِزَة : ما أُعْجِزَ به الخصم عند التحدي ، والهاء للمبالغة كما في قولهم : علاّمة ، ونسّابة ، وروّاية ، وجمعها معجزات ، وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

والعَجْزُ : أصله التأخر عن الشيء ، وهو ضد القدرة ، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء . يقال : عَجَزَ فلان عن الأمر ، وأَعْجَزَهُ الأمر إذا حاوله فلم يستطعه ولم تتسع له مقدرته وجهده.

ومعنى الإعجاز : القوت والسبق ، يقال أعجزني فلان ، أي فاتني . وذكر الزبيدي عن الليث قال : أعجزني فلان: إذا عجزتُ عن طلبه وإدراكه ، وقال الراغب الأصفهاني : أعْجَزتُ فلانا وعَجَّزْتُهُ وعاجَزْتُهُ : أي جعلته عاجزاً .

والتَّعْجِيزُ : بمعنى التثبيط ، والنِّسبة إلى العَجْز . وبه فُسِّر قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ...﴾ [2] قال الزجاج : معناه ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون وأنه لا جنّة ولا نار .

---

(١) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر / نعيم الحمصي / ص ٧.

(٢) سورة الحج ، الآية (٥١) .

وقرىء معجِّزين : بمعنى يَنسُبُون إلى العجز مَنْ اتبع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل معناه مثبِّطين أي يثبطون الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الفيروز أبادي : أي يعاجزون الأنبياء وأولياءهم ، يقاتلونهم ويمانعونهم ليصيِّروهم إلى العجز عن أمر الله تعالى[1].

وقد وردت مشتقات لفظ " عَجَزَ " في ستة وعشرين موضعا في كتاب الله ، وذلك كما ذكرها محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه [2] ، وسأكتفي منها بذكر ما له علاقة ببحثنا هذا ، وهي :

أعَجَزتُ : ﴿ ... قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ .. ﴾ [3]

نُعجِزُ : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ ﴾ [4]

نُعجِزَهُ : ﴿ ... وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ [5]

لِيُعجِزَهُ : ﴿ .. وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ .. ﴾[6]

---

(١) مراجعي في هذه الخلاصة اللغوية هي :

١-القاموس الإسلامي / أحمد عطية الله / ج٥ ص٢٨٨.

٢-معجم ألفاظ القران الكريم / أمين الخولي / أحد أعضاء مجمع اللغة العربية الذي أشرف على إخراج الجزء الرابع من هذا المعجم . ج٤/ص١٩٣.

٣-ترتيب القاموس المحيط / طاهر أحمد الزاوي / ج٣/ص١٦١.

٤-القاموس المحيط / الفيروز أبادي / ج٢/ص١٨٧.

٥-لسان العرب / ابن منظور / ج٧/ ص٢٣٦.

٦-معجم متن اللغة / أحمد رضا / ج٤/ص٣٤.

٧-تاج العروس السيد محمد مرتضي الزبيدي / ج٤/ ص٤٩.

المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهاني / ص٣٢٢.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٤٤٦ .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٣١) .

(٤) سورة الجن ، الآية (١٢) .

(٥) سورة الجن ، الآية (١٢) .

(٦) سورة فاطر ، الآية (٤٤) .

يُعجزُونَ : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ﴾ (١)

مُعَاجِزِينَ : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٢)

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (٣)

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ (٤)

بِمُعْجِزٍ : ﴿ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ .. ﴾ (٥)

مُعْجِزِي : ﴿ ... وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ... ﴾ (٦)

﴿ ... وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ... ﴾ (٧)

مُعْجِزِينَ : ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٨)

﴿ ... قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٩)

﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ... ﴾ (١٠)

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (١١)

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (١٢)

---

(١) سورة الأنفال ، الآية (٥٩) .

(٢) سورة الحج ، الآية (٥١) .

(٣) سورة سبأ ، الآية (٥) .

(٤) سورة سبأ ، الآية (٣٨) .

(٥) سورة الأحقاف ، الآية (٣٢) .

(٦) سورة التوبة ، الآية (٢) .

(٧) سورة التوبة ، الآية (٣) .

(٨) سورة الأنعام ، الآية (١٣٤) .

(٩) سورة يونس ، الآية (٥٣) .

(١٠) سورة هود ، الآية (٢٠) .

(١١) سورة هود ، الآية (٣٣) .

(١٢) سورة النحل ، الآية (٤٦) .

﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ... ﴾ (١)
﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ... ﴾ (٢)
﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٣)
﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ... ﴾ (٤)

ويلاحظ من هذا الاستعراض لِعَجَزَ ومشتقاتها كما جاءت في القرآن الكريم أن لفظة " المعجزة والإعجاز " لم ترد مطلقاً في كتاب الله ، ويشير إلى هذا المعنى الأستاذ نعيم الحمصي حيث يقول :

" ولم يرد في القرآن لفظ (معجزة) أو (إعجاز) ، وإنما جاء فيه ألفاظ (آية وبرهان وسلطان) ، وهذه الكلمات لا ترادف كلمة معجزة ، ولا تشمل معنى الإعجاز المفهوم منها ، وإما تدل على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئي واحد، وهذا الجزء يقابل كلمة الدليل أو الحجة ، بمعنى أن حادثة من الحوادث هي دليل نبوة أحد الأنبياء أو دليل الألوهية ، ولا يدل على أكثر من ذلك ، أما كلمة معجزة فتدل على أمر خارق للعادة يكون دليلا على نبوة أحد الأنبياء دون غيره ، ويَعجَزُ غيرُه من الخلق عن الإتيان بمثله ، ومن الصعب جداً أن نحدد الزمان أن المكان أو الأثر الذي استعملت فيه كلمة معجزة أو إعجاز أول مرة بهذا المعنى الاصطلاحي الفني ".(٥)

تاريخ استعمال لفظة الإعجاز والمعجزة :

مما سبق يظهر لنا أن هاتين الكلمتين لم تكونا شائعتي الاستعمال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد أصحابه وتابعيهم ، وإنما جاء استعمالها متأخراً

---

(١) سورة النور ، الآية (٥٧) .
(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٢٢) .
(٣) سورة الزمر ، الآية (٥١) .
(٤) سورة الشورى ، الآية (٣١) .
(٥) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ، ص٧ .

نظراً لكثرة المناقشة فيهما والاسترسال في فهم أقصى ما تدل عليه كلمة معجزة من معان .

وقد أشار الحمصي أيضاً إلى أول كتاب أُلِّفَ مُعنوَناً باسم (إعجاز القرآن) وذلك حيث يقول : " وأول كتاب عُنوِنَ باسم (إعجاز القرآن) فيما نعلم هو كتاب محمد بن يزيد الواسطي (ت ٣٠٦هـ) ، ومن الواضح أنه أُلِّف في أواخر القرن الثالث من الهجرة أو في مطلع القرن الرابع ، وقد وردت فيه كلمة (معجزة) ، ثم أخذت كلمات (آية وبرهان وسلطان) تقل بعد ذلك في الاستعمال وتحل محلها كلمة (معجزة) في بحث مسألة النبوة وقضية الإعجاز .

ومن أصعب الأمور الآن أن نبين الأطوار والمراحل التي مرت بها كلمتا معجزة وإعجاز [١] .

وهكذا فقد ظهر لنا في هذه الخلاصة الموجزة لمحات ومعالم عن معناهما اللغوي وأصلهما التاريخي ومدى استعمال القرآن لمادة (عَجَزَ) الاشتقاقي .

ب) تعريفهما اصطلاحاً :

اختلفت تعريفات العلماء للمعجزة في الاصطلاح وإليك ثلاثة نماذج منها :

١- عرفها السيوطي بقوله : " اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة " [٢].

٢- وعرفها الإمام عبد القاهر البغداديُ بقوله : " وحقيقة المعجزة عند المتكلمين : ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوّة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يُتحدى به عن المعارضة " [٣] .

---

(١) نفس المرجع ، ص٨ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص ١١٦.

(٣) أصول الدين ، ص ١٧٠.

وانظر توضيح العقيدة في رؤية الله تعالى والقدر والنبوة ، عبد العزيز سيف النصر ، ص٢٩٥.

٣- وعرفها الدكتور محمد أبو الغيط والدكتور محمد روّاس قلعجي في كتابهما فقالا: " والمعجزة عند علماء العقيدة : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوّة على وفق مرداه تصديقاً له في دعواه ، مقروناً بالتحدي مع عدم المعارضة"(١)

وبالنظر في هذه التعاريف الثلاثة ندرك ما يلي :

١- إن تعريف السيوطي للمعجزة تعريف غير مكتمل للأركان والشروط ، فمثلا لم يبين من هو المختص بالمعجزة ، وما هو وقت ظهورها ، ولم يذكر شرط موافقتها لدعواه حتى يتحقق صدق المدعي للنبوّة أو كذبه .

٢- وبالنظر في تعريف البغدادي ندرك أنه لم يجعل فارقاً بين معجزة النبي وكرامة الولي ، في حين أن الفرق بينهما كبير ، ويظهر عدم التفريق هذا من قوله : "لإظهار صدق ذي نبوّة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء" وهذا خلط لا يجوز ، إذ إن المعجزة خاصة بالأنبياء ، والكرامة تكون للأولياء كما تكون للأنبياء أيضاً ، وما نحن بصدده هنا هو تعريف بالمعجزة خاصةً ، فلا مجال لإدراج الكرامة وتسميتها معجزة .

٣- أما التعريف الثالث فهو وإن كان أشملَ وأدقَّ من التعريفين السابقين إلا أنه في حاجة لأن يُقيَّد بزمن التكليف احترازاً عن زمن نقض العادة وانتهاء التكليف وذلك بظهور أشراط الساعة كطلوع الشمس من المغرب ، فلو ادعى أحد أن معجزته الدالة على صدق نبوّته طلوع الشمس من مغربها فإنه لا يُشهد له بصدق دعواه لأنه زمن نقض العادات وانتهاء التكليف .

إذن فالتعريف الأكمل والأشمل والأدق في نظري هو : " أن المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوّة على وفق مراده تصديقاً له في دعواه مقروناً بالتحدي مع عدم معارضته ، وذلك كله في زمن التكليف ".

---

(١) العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة / ص ١٨٣.

هذا بالنسبة لتعريف المعجزة ، أما تعريف (الإعجاز) فإنه يتضح من تعريف المعجزة أن المراد بقولنا (إعجاز القرآن) : (أي كونه أمراً خارقاً للعادة لم يستطع أحد معارضته رغم تصدي الناس له)[1] .

ولا يتحقق الإعجاز إلا بأمور ثلاثة [2]:

(١) التحدي وهو طلب المنازلة والمعارضة .

(٢) وجود المُقْتَضَي الذي يدفع المُتَحدَّى إلى المنازلة .

(٣) عدم وجود مانع من المباراة .

وإذا أردنا أن نتبين صحة إعجاز القرآن الكريم فلا بد أن نطبق كل شرط من هذه الشروط على القرآن الكريم ليتضح لنا إعجازه بجلاء ووضوح وبالمحاولة ندرك ما يلي :

١- أن الشرط الأول متحقق وذلك أن القرآن قد دعاهم للتحدي وهو طلب المجيء بمثل هذا القرآن ، أو بعشر سور مثله ، ثم أرخى لهم العنان إلى سورة من مثله ، ويظهر لنا هذا التحدي في قوله تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[4] ، وقوله : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[5] ، وقوله :﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ**

---

(١) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر / نعيم الحمصي / ص٩ .

(٢) انظر أصول الدين الإسلامي / الدوري / ص٢٨٣، وانظر التبيان في علوم القرآن / الصابوني / ص٩٢ ، وانظر علم أصول الفقه / عبد الوهاب خلاف / ص٢٥.

(٣) سورة الطور ، الآيتان (٣٣ ، ٣٤) .

(٤) سورة هود ، الآية (١٣) .

(٥) سورة يونس ، الآية (٣٨) .

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[1]

فلما ثبت عجزهم إذ لم يأتوا بشيء مما تحداهم به سجل عليهم هذا العجز بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2] .

٢- أما الشرط الثاني وهو وجود المقتضي للمعارضة ، فهو متحقق إذ إن محمداً صلى الله عليه وسلم ادعى أنه رسول الله إليهم ، وأنه جاءهم بكتاب من عند الله ، يسفه به أحلامهم ، ويطعن به في عباداتهم ومعتقداتهم ، وكان هذا ما يثير غضبهم ، لكنهم بدل أن يبطلوا حجته فيأتوا بمثله أو بسورة من مثله ، ذهبوا يتهمونه بالشعر والسحر والكهانة والجنون وأن الذي يعلمه بشرٌ ، بل قالوا بأنه أضغاثُ أحلامٍ ، وأنه أساطير الأولين .. وقد وصف الله حالهم هذا بقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ... ﴾[3] ، ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[4] ، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾[5] .

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ... ﴾[6] ، ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾[7] ، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان (٢٣ ، ٢٤) .
(٢) سورة الإسراء ، الآية (٨٨) .
(٣) سورة الفرقان ، الآية (٤) .
(٤) سورة الفرقان ، الآية (٥) .
(٥) سورة النحل ، الآية (١٠٣) .
(٦) سورة الأنبياء ، الآية (٥) .
(٧) سورة الزخرف ، الآية (٣٠) .